

انقسام دولة شيشنق الأول وبداية الفوضى السياسية في مصر القديمة (خلال عصر الانتقال الثالث 817-730 ق.م)

أ. وليد عبد السيّد سرّار

كلية الآداب - جامعة مصراتة

w.srar@art.misuratau.edu.ly

تاريخ النشر 2025.04.28

تاريخ الاستلام 2025.03.10

الملخص:

يتناول البحث انقسام دولة شيشنق الأول وبداية الفوضى السياسية في مصر القديمة خلال عصر الانتقال الثالث (800-730 ق.م). يبدأ البحث بتمهيد يوضح كيف أن وصول شيشنق الأول إلى عرش الفراعنة في القرن العاشر قبل الميلاد كان تعبيراً عن السيطرة الليبية على الجيش والدولة المصرية. فقد كانت العناصر الليبية، وخاصة من قبيلتي المشواش والليبو، تتمتع بنفوذ واسع في الجيش والمؤسسات السياسية والدينية منذ نهاية الدولة الحديثة (1580-1085 ق.م). وقد تم توطين الليبيين في مناطق مختلفة من مصر، خاصة في الدلتا، حيث حصلوا على أراضٍ زراعية كمكافأة، مما زاد من نفوذهم الاجتماعي والاقتصادي. مع مرور الوقت، ازداد نفوذ الليبيين في مصر، حتى توسع خلال عصر الأسرة الواحدة والعشرين (1085-950 ق.م)، وأصبحوا يسيطرون على الجيش ويتمتعون بمناصب سياسية ودينية مهمة، وقد وصل الأمر إلى أن بعض الفراعنة كانوا من أصل ليبي، مثل أوسركون القديم.

بعد وفاة شيشنق الأول، بدأت بوادر الفوضى السياسية في الظهور، فرغم محاولة خلفائه (أوسركون الأول وتكوت الأول)، الحفاظ على السيطرة الكاملة للملوك على المؤسسات الدينية والسياسية، ولكن الصراعات على السلطة أدت إلى انقسامات داخلية، وقد تفاقت هذه الانقسامات مع ظهور أسرة جديدة في ليونتوبوليس (الأسرة الثالثة والعشرون) خلال حكم شيشنق الثالث 817 ق.م، مما أدى إلى انشطار مصر إلى مملكتين متزاملتين: واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب. خلال هذه الفترة، ظهرت أيضاً مملكة أخرى في سايس (الأسرة الرابعة

والعشرون) تحت حكم تف نخت، والذي استطاع توحيد عدة مناطق تحت سلطته، مدعوماً بقوة الليبيين في جيشه. ومع ذلك، كانت هذه الفترة مليئة بالصراعات الداخلية والضعف السياسي، مما مهد الطريق لاحقاً للغزو الكوشي لمصر.

الكلمات المفتاحية: مصر القديمة، الانقسام السياسي، الليبيون، الصراعات الداخلية، الأسرة الثانية والعشرون.

The division of the kingdom of Sheshonq I and the beginning of political chaos in ancient Egypt (The Third Intermediate Period, 817-730 BCE)

Waleid A. Srar

Faculty of Arts, Misurata University, Libya

w.srar@art.misuratau.edu.ly

Received: 10.03.2025

Publishing: 28.04.2025

Abstract:

The research discusses the division of the kingdom of Sheshonq I and the beginning of political chaos in ancient Egypt during the Third Intermediate Period (800-730 BCE). The research begins with an introduction explaining how the rise of Sheshonq I to the throne of the pharaohs in the 10th century BCE was an expression of Libyan control over the Egyptian military and state. The Libyan elements, particularly from the Meshwesh and Libu tribes, had enjoyed extensive influence in the military, political, and religious institutions since the end of the New Kingdom (1580-1085 BCE). The Libyans were settled in various regions of Egypt, especially in the Delta, where they were granted agricultural lands as salaries, which increased their social and economic influence.

Over time, the influence of the Libyans in Egypt grew, particularly during the 21st Dynasty (1085-950 BCE), when they came to control the military and held significant political and religious positions. This reached the point where some pharaohs were of Libyan origin, such as Osorkon the Elder, who was married to a Libyan woman and gave his children Libyan names.

After the death of Sheshonq I, political chaos began to escalate due to internal conflicts among the ruling Libyan family. His successors, such as Osorkon I and Takelot I, attempted to maintain control over religious and political institutions, but power struggles led to internal divisions. These divisions worsened with the emergence of a new dynasty in Leontopolis (the 23rd Dynasty) during the reign of Sheshonq III, resulting in Egypt being

divided into two concurrent kingdoms: one in the north and the other in the south. During this period, another kingdom emerged in Sais (the 24th Dynasty).

Keywords: Ancient Egypt, Political Division, Libyans, Internal Conflicts, The Twenty-Second Dynasty.

1. مقدمة:

دائماً ما تشهد فترات الانتقال السياسي في تاريخ الأمم تحولات جذرية تؤثر في بنية الدولة ومؤسساتها، وتعد فترة الانتقال الثالثة في مصر القديمة واحدة من أكثر الفترات تعقيداً واضطراباً في التاريخ المصري، حيث تميزت هذه الفترة بانهيار السلطة المركزية و بروز نفوذ العناصر الليبية، التي أصبحت تلعب دوراً محورياً في الحياة السياسية والعسكرية والدينية، وقد بدأ هذا التحول مع صعود شيشنق الأول إلى عرش الفراعنة في القرن العاشر قبل الميلاد، حيث مثل وصوله ذروة السيطرة الليبية على مقاليد الحكم في مصر القديمة، فقد تمكنت العناصر الليبية، ومنذ عصر الدولة الفرعونية الحديثة (1580-1085 ق.م)، من الوصول الى مراكز مهمة في الجيش الفرعوني ولعب دور مهم داخل المجتمع، حيث تم توطينهم في مناطق مختلفة، خاصة في الدلتا، ومنحوا أراضي زراعية كمكافآت، مما زاد من نفوذهم الاجتماعي والاقتصادي، ومع مرور الوقت، أصبح الليبيون يسيطرون على الجيش ويحتلون مناصب سياسية ودينية مهمة، مما مهد الطريق لوصولهم إلى سدة الحكم. بعد وفاة شيشنق الأول، بدأت الفوضى السياسية تتفاقم بسبب الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة الليبية، مما أدى إلى انقسامات داخلية وتفكك السلطة المركزية. وقد زادت هذه الانقسامات مع ظهور أسرتي حاكميتين في ليونتوبوليس (الأسرة 23)، وفي سايس غرب الدلتا (الأسرة 24)، ناهيك عن مملكة أخرى في هرموبوليس (الاشمونين) بمصر الوسطى.

1.1 أهمية الدراسة:

لهذا البحث أهمية كبيرة لكونه يتناول موضوع الانقسام السياسي لدولة الليبيين في مصر خلال عصر الانتقال الثالث، ومدى توسع النفوذ الليبي حتى تمكنت بعض عناصرهم من تأسيس الممالك والأسر الفرعونية الجديدة وتنافسها على السيادة، فهو بذلك يوفر رؤية معمقة للأوضاع السياسية لمصر بعد تفكك دولة شيشنق الأكبر.

2.1 أهداف البحث:

- 1- دراسة كيفية تحول أوضاع الليبيين من مجموعات مهاجرة إلى قوة سياسية مؤثرة خلال فترة الأسرة الثانية والعشرين.
- 2- فهم العوامل التي أدت إلى الانقسام السياسي داخل الأسرة الثانية والعشرين وتأثير ذلك على استقرار مصر.
- 3- التعرف على مدى تأثير القوى الدينية على الأوضاع السياسية في تلك الفترة، ودور الكهنة في دعم أو معارضة الحكام.
- 4- استكشاف التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية للانقسام السياسي على الحياة اليومية في مصر.
- 5- تقديم دراسة شاملة تغطي الأحداث الرئيسية والشخصيات المؤثرة في تلك الفترة، مما يسهم في إثراء المعرفة التاريخية.

3.1 إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية هذا البحث في غموض العوامل المسببة لهذه التغيرات السياسية التي واجهتها مصر القديمة خلال فترة الأسرة الثانية والعشرين وما بعدها، في ظل الصراع بين القوى الليبية، مع غموض الخلفيات السياسية لأبطال هذه المرحلة من التاريخ الفرعوني، وتتضح إشكالية البحث أيضًا في التساؤلات الرئيسية التالية:

1. ما هي الأسباب الرئيسة التي أدت إلى الانقسام السياسي داخل الأسرة الثانية والعشرين وهل توسع الانقسام ليشمل أغلب أقاليم الدولة؟
2. كيف أثرت هذه الانقسامات السياسية على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية داخل مصر؟
3. هل كان للكهنة دور في هذا السياق السياسي المتغير؟
4. كيف تفاعلت القوى المختلفة في مصر مع التفتت السياسي، بما في ذلك حكام الأقاليم والعائلات المالكة والجيش والكهنة؟
5. ما هي النتائج طويلة المدى لهذه الصراعات السياسية على مصر القديمة ووحدتها وهل ساهمت في توسع نفوذ العناصر الليبية في أقاليم وادي النيل الأدنى؟

4.1 المنهج المتبع:

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي السردى الذي يقوم على سرد ووصف الأحداث والحقائق حسب تاريخ حدوثها بالاعتماد على ما ورد في المصادر والمراجع التاريخية، وتحليلها كل ما أمكن ذلك، للوصول لنتائج علمية رصينة.

2. تمهيد:

عندما تمكن شيشنق الأول⁽¹⁾ من السيطرة على عرش الفراعنة⁽²⁾ خلال القرن العاشر قبل الميلاد، كان ذلك تعبيراً سياسياً عن سيطرة العناصر الليبية على مقاليد الحياة العسكرية للدولة الفرعونية ومنذ نهاية الدولة الحديثة 1580-1085 ق.م (إبراهيم، 1962، 312/2) فقد تمتع المحاربون الليبيون خلال عصر الأسرة العشرين بنفوذ واسع داخل الجيش الفرعوني، الأمر الذي أتاح لهم التدرج في المناصب السياسية والدينية⁽³⁾، وكانت أغلب فرق الجيش وكتائبه تتكون من مقاتلين ليبيين، والذين تم توطئتهم في مدن وحاميات عسكرية كبيرة مع ما كان يمنح لهم من

(1) مؤسس الحكم الليبي في مصر بعد نهاية الدولة الفرعونية الحديثة، كان والده المعروف باسم نمرود أو نمرود مقرباً من الأسرة الواحدة والعشرين (1085-950 ق.م)، واشتهر بلقب ملك الما العظيم أي ملك الماشواش وأمير الأمراء وقائد الجيش العظيم، ثم زوج ابنه أوسركون من ابنة آخر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين، وهذا السلطان والنفوذ جعله مؤهلاً للاستيلاء على عرش الفراعنة وبطريقة سلمية على الأغلب، وتجدر الإشارة أن هذا الاسم قد حمله الكثير من فراعنة الليبيين في مصر سواء في الأسرة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين (817-730 ق.م) (إبراهيم، 1962، 308/2-310؛ بوزنر وآخرون، 1996، 197).

(2) تعد تسمية الفراعنة أو عصر الفراعنة أو الحضارة الفرعونية هي الاصطلاح الأشهر للحضارة المصرية القديمة حتى إن أحد العلماء يقول: إنها تعوزنا تسمية أفضل وأعم لهذه الحضارة لو ابتعدنا عن استخدام كلمة الفراعنة" (إمرى، 1967، 29؛ توفيق، 1990، 148).

(3) يظن أحد الباحثين أن المناصب الدينية في كهانة الآلهة الرئيسية خلال العصر الفرعوني كانت من الوسائل الرئيسية للليبيين للاستيلاء على السلطة بوادي النيل الأدنى سواء قيادة كهنة الإله حرسفيس بإهناسيا (هراقليوبوليس عند الإغريق) أو آمون بطيبة، أو نيت في سايس أو بتاح في منف عاصمة الملوك الأوائل (إبراهيم، 1962، 308/2).

رواتب في هيئة أراضي زراعية زادت من نفوذهم الاجتماعي والاقتصادي (جاردنر، 1973، 356).

كما أنهم استوطنوا أقاليم عدة بوادي النيل الأدنى رغم أن الدلتا كانت دائما أكثرها استقبالا لهم، ناهيك عن أنهم وطنوا في شرقها منذ زمن رمسيس الثاني⁽⁴⁾ 1290-1223 ق.م، حيث اعتمد عليهم في حماية الحدود الشرقية لدولته، وبعد ذلك تكرر الأمر زمن رمسيس الثالث⁽⁵⁾ 1198-1166 ق.م، ثم ازدادت أعدادهم في عصور خلفائه من الأسرة العشرين، معتمدين على الهجرة السلمية عبر الفيوم⁽⁶⁾ والأقاليم الغربية من وادي النيل الأدنى (بيوت، 1966، 143 و 146 و 160).

(4) رمسيس الثاني، أو رمسيس الثاني، هو ابن فرعون سيتي الأول وأشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر يعتقد أنه حكم 67 عاما، له العديد من الإنجازات العمرانية والحربية والتي منها حروبه ضد الليبيين في الدلتا، كما أن جيشه كان يحتوى على عناصر ليبية. للمزيد، (أديب، 2000، 454-455)؛ (مهران، 1988، 190-191).

(5) رمسيس الثالث، أشهر ملوك الأسرة الفرعونية العشرين وآخر الفراعنة الأقوياء، تعرضت مصر في زمنه لعدة غزوات من الليبيين وشعوب البحر، وكانت العناصر الأجنبية تغطي أغلب فرق جيشه وخاصة من الليبيين، ومات على إثر مؤامرة قامت بها بعض حريم القصر، كان القاضي الذي أشرف على محاكمتهم مع رجال الجيش من أصل ليبي. للمزيد ينظر: (بوزنر وآخرون، 1996، 174؛ جاردنر، 1973، 319-320).

(6) الفيوم تقع على الجانب الغربي من نهر النيل الذي تتصل به عبر فرع من فروعها، كانت من المدن المشهورة منذ زمن سبق العصر الفرعوني، وأصل الكلمة يعود إلى بايوم كما عرفت زمن الفراعنة، وجاءت شهرتها من عبادة التمساح سوبك فعرفت أيضا بأرض التمساح وكذلك ببجيرة السمك وكان أغلب سكانها من آكلي السمك والصيدان، وكانت دائما طريقا قديما لهجرة الليبيين نحو الوادي؛ لعلاقتها بالبحيرات الأخرى في الصحراء الليبية منذ فجر التاريخ، واستقرت بها جاليات ليبية منذ زمن الأسرة الرابعة وهي من المدن القريبة من مصر الوسطى وإهناسيا. للمزيد ينظر: (بوزنر وآخرون، 1996، 265-266؛ مراجع، 2008، 60 و 61 و 63).

وقد وردت أخبار متكررة على وجودهم في طيبة⁽⁷⁾ منذ زمن الفرعون رمسيس الرابع⁽⁸⁾، وزيادة على ذلك فإن بردية فلبور⁽⁹⁾ أكدت على وجودهم وبكثرة وامتلاكهم لإقطاعيات زراعية في هيراكليوبوليس (إهناسيا) بمصر الوسطى وغيرها من الأقاليم، وتظهر زيادة توغل العناصر الليبية في مصر وبشكل واضح منذ بداية الأسرة الواحدة والعشرين (1085-950 ق.م) والتي كانوا في أيامها المسيطرين على الجيش الذي تكون في غالبيته منهم وتحديدًا من قبيلتي الماشواش والليبو⁽¹⁰⁾، وتمتعوا بنفوذ واسع عند فراغة هذه الأسرة، حتى أن أحدهم كان ليبيا يدعى أوسركون القديم، ناهيك عن نفوذهم في الجنوب وخاصة في طيبة والتي كان يحكمها ملوك كهنة زمن الأسرة الواحدة والعشرين، فقد كان حريحور الكاهن الأعظم لآمون وملكا على جنوب، والذي يعتقد أنه لبيي الأصل ومتزوجا من امرأة ليبية، ومنح أبنائه أسماء ليبية، حيث اعتمد على جيش من الماشواش في بسط سلطانه (فيتمان، 2009، 32).

(7) طيبة، أشهر المدن القديمة في العصر الفرعوني، وهي مدينة آمون كبير الآلهة وبها المعابد المشهورة كالكرنك وهايو. وللمزيد ينظر: (بوزير وآخرون، 1996، 221-222).

(8) رمسيس أو رمسيس الرابع، هو ابن الفرعون رمسيس الثالث، تولى الحكم بعد أبيه غير أنه لم يستمر على العرش سوى ست سنوات فقط. وللمزيد حول هذا الفرعون ينظر: (علي، 2001، 312/2-315).

(9) بردية فلبور، وثيقة خاصة بمساحة الأراضي وفرض الضرائب عليها زمن الرعامسة، كشف عنها سنة 1929م عندما عرضها للبيع أحد تجار الأقصر، ورفض المتحف المصري شراؤها، فاشترها الأثري فلبور الذي عرفت باسمه لحساب متحف بركلين، ونشرها جاردنر. للمزيد ينظر: (حسن، 2000، 159/8-161).

(10) قبيلتي الليبو والمشواش، فأما الأولى فسبق في ظهورها على مسرح الأحداث في وادي النيل الأدنى، وكان لها الشهرة حتى أصبح اسمها دلالة على كل الأقاليم الغربية من وادي النيل، ودخلت في حروب متعددة ضد فراغته، وقد اشتركت مع المشواش في بعضها، وهذه الأخيرة ذات شهرة عسكرية كبيرة عند الفراعنة وجيشهم الذي ضم فرقا منهم منذ زمن سيتي الأول، حول صفات وملاحم القبيلتين ينظر: (سرار، 2021، 98-112؛ الأثر، 1998، 43-52؛ حسن، 2000، 56/7-61).

وجدير بالذكر فأن محاولات الفرعونين مرنبتاح⁽¹¹⁾ ورعسيس الثالث الادعاء بتحقيق انتصارات عظيمة على الليبيين، وعبر عدة حروب بالدلتا، كانت مثار جدل وشك كبير، فعصر هؤلاء الملوك وما سبقهم منذ أيام رعسيس الثاني، كانت هي الفترة التي شهدت توغل الليبيين في الدلتا واستقرارهم فيها، ومع مرور الوقت ازداد نفوذهم سواء بالجيش أو في غير ذلك من المؤسسات حتى اكتسبوا ثقة الفراعنة وقرابتهم، ومن ذلك الليبي أنيني الذي كان رئيسا للحجاب في قصر رعسيس الثالث، وتولى قيادة القضاء للتحقيق في مؤامرة الحريم⁽¹²⁾ التي حيكت ضد الفرعون الأخير (أوكونر وآخرون، 2000، 309).

وخلال عصور الضعف مع نهاية الأسرة العشرين اضطر الملوك إلى منح إقطاعات زراعية للجنود الليبيين؛ نظرا لعدم توفر الأموال لمنحها لهم، وهو ما زاد من انتشارهم وقوتهم، وأصبح الجنود الليبيون يثيرون القلق في وادي النيل الأدنى بسبب توقف الحروب الخارجية، والتي كانت توفر لهم الأموال والأجور، فمارسوا بعض الأعمال التي أربكت الدولة، ومنها إغارة مجموعات من الليبو والماشواش على طيبة في منتصف عصر الأسرة العشرين، وتذكرهم المصادر أحيانا باسم سكان الصحراء (فيتمان، 2009، 32)، فربما كانوا مجموعات ليبية حديثة القدم نحو الوادي من الغرب فأطلق عليهم أسماء القبائل المعروفة لوجود التشابه بينهم في الملامح والصفات (مهران، 2011، 141-142).

وتجدر الإشارة هنا الى أن قدوم الليبيين لجنوب مصر كان غريبا في أول الأمر، لذلك دونت أخبارهم عند قدومهم إلى طيبة، غير أن استقرارهم بالدلتا أصبح أمرا اعتياديا، حيث أسسوا العديد من الإمارات تحت قيادة رؤسائهم، ومع مرور الوقت أصبح لهم مراكز مهمة في كل المدن

(11) مرنبتاح، هو ابن رعسيس الثاني الفرعون، وورثه من بعده في الحكم، تولى السلطة وهو كبير السن، وشهد عصره حروبا شرسة ضد ائتلاف من القبائل الليبية حتى استطاعوا احتلال الدلتا في عصره. للمزيد حول هذا الملك ينظر: (أديب، 2000، 728-730).

(12) مؤامرة الحريم (حريم القصر)، وقعت هذه الحادثة زمن رعسيس الثالث واشتركت فيها بعض زوجاته وبنائهن وبعض من ضباط الجيش والحرس الفرعوني، وهي واقعة متكررة في العصور الفرعونية ولأسباب متعددة أبرزها الصراع على السلطة. للمزيد ينظر: (جاردينر، 1973، 320؛ يويوت، 1966، 146-147).

الرئيسية، واتخذت مراكزهم طابعا عسكريا، بسبب اعتماد الدولة عليهم في جيوشها منذ زمن بعيد، وقسمت لهم كأراض في شكل مرتبات أو أجور، ولا أدل على ذلك من الأخبار التي وردت من زمن رعمسيس الخامس والتي مفادها بأن الجنود الليبيين كانوا يمتلكون حقولا كبيرة في مصر الوسطي والعليا، والتي يحتمل أنهم زرعوها في أيام السلم عندما كانت الدولة لا تعيش أجواء الحروب، وربما استفادت اقتصاديا(بن السعدي، 2009، 260)، حيث يعتقد أنهم أجروا تلك الأراضي لفلاحين لزراعتها في مقابل نصف غلتها، مما ساهم في ظهور بعض الرواج الاقتصادي، ولعله الأمر الذي أشارت إليه بردية فلبور أنفة الذكر(حسن، 2000، 197/8-202)، والتي توضح بأن الجنود كانوا من بين أهم المجموعات السكانية المستغلة للأراضي منذ بداية الأسرة العشرون(مصطفى، 1990، 378).

ويبدو أن الليبيين قد توسعوا بشكل أكبر في اتجاه طيبة حيث هاجموها ودمروها خلال فترة حكم رعمسيس الحادي عشر 1114-1085 ق.م(يويوت، 1996، 142)، وفي نفس الفترة تذكر النقوش شراء بعض رجال الماشواش جعة من أحد تجار طيبة الغربية والتي كان لهم فيها نفوذ عسكري، وهو ما يتضح من الأمر العاجل الذي أصدره أحد قادة الجيش ويأمر بضرورة استمرار الناس (المواطنين) في تقديم الخبز للماشواش(مهران، 2011، 144).

وعلى أية حال فإن الدلتا كانت مركز ثقل الليبيين ومكان استيطانهم منذ القدم⁽¹³⁾، غير أنها في هذه المرحلة شهدت تدفقا سريعا لهم، فخلال قرنين ونصف، ومنذ زمن رعمسيس الثاني حافظوا على نفوذهم العرقي فيها، حيث انقسمت الدلتا إلى مقاطعات يحكم بعضها رئيس الما (الماشواش)، والبعض الآخر يحكمه رئيس الليبو، ورغم قلة المصادر والنقوش التي تصور هؤلاء وصفاتهم، مع ما سببه مناخ الدلتا من تلف للمصادر، ناهيك عن ابتعاد خلفاء رعمسيس الثالث عن الرسم والتصوير، ومع ذلك كله فلقد تركت النصوص الراجعة لتلك الفترة ما يثبت وجودهم ونفوذهم بشكل واضح، وهو ما توجي به الأسماء والألقاب والدلالات الجنسية لليبيين، حيث

(13) بالرجوع إلى نصوص الحروب القديمة لليبيين على اختلاف قبائلهم، ضد فراعنة وادي النيل الأدنى يلاحظ أنهم اتخذوا من الدلتا والمناطق الوسطى كالفيوم وإهناسيا، مستقرا لهم ومكانا لانطلاق حملاتهم نحو العاصمة منف مقر الحكم الفرعوني، ينظر نصوص رعمسيس الثاني، ومرنبتاح، ورعمسيس الثالث في: (حسن، 2000، 86/7 و 268/7؛ برستد، 1999، 445 و 456 و 493).

ظهرت أسماء غريبة بالمقارنة مع الأسماء الشائعة للحضارة الفرعونية مثل شيشنق، أوسركون، تاكلوت، يوبوت، وهي أسماء بعض الملوك الليبيين، بالإضافة إلى الأسماء ذات التأثير الأقل في السياسة والحياة الدينية مثل أيولوت، أكانوش، يويواوا، والتي تأكد المتخصصون من أصلها الليبي دون أدنى شك (إبراهيم، 1962، 307/2-308)، ناهيك عن استمرارهم في التحلي بالريشة على رؤوسهم حتى أطلق عليهم خلال العصر المتأخر لقب ذوي الريشتين (دريتون، فاندیه، 1950، 575).

ويحتمل أن مسألة التحقق من الهوية خلال تلك الحقبة تعد صعبة، إذ أن هناك عدد من الأفراد يحملون الأسماء المصرية، ولكن آباءهم ليبيون، بل إن الأسماء المصرية بدأت تسود حتى بين رؤساء الليوي في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو ليس بالأمر المستغرب بالنسبة لليبيين، فالأمر تتطلبه الضرورة من أجل التكيف مع عادات الموطن الجديد، على عكس الإنسان المصري الذي لم يكن له حافزا مغريا لتبني أسماء ليبية، رغم أن الزواج المختلط يحتمل أنه ساهم في أن يتبنى بعض سكان وادي النيل الأدنى أسماء وألقابا ليبية، والأخيرة قد ظهر كثير منها عند المصريين مثل لقب مس⁽¹⁴⁾ ومك ومتوهر⁽¹⁵⁾، والتي تلاحظ في وثائق الدلتا أكثر منها في مصادر الجنوب من الفترة نفسها، وهي مفردات جاءت بلا شك مع المهاجرين الليبيين واستعملت كمصطلحات شائعة (بن السعدي، 2009، 264-265).

وعموما فإن درجة التمسك وانتقال الليبيين من ثقافتهم إلى ثقافة وادي النيل الأدنى، كانت بطيئة ومتفاوتة من مرحلة إلى أخرى، والدليل على ذلك أنه حتى القرن الخامس قبل الميلاد كان سكان الدلتا الغربية يعتبرون أنفسهم ليبيين أكثر مما هم مصريين، ناهيك عن بقاء الأسماء الليبية شائعة الاستخدام حتى العصر البطلمي (Leahy, 1985, 55-56)، فإن كان الليبيون

(14) مس (Ms)، هو لقب السيد أو الزعيم عند الليبيين وأهل وادي النيل على السواء، ويقصد به الملك أو الأمير أو الرئيس. للمزيد ينظر: (خشيم، 1990، 213).

(15) مك (Mk) ومتوهر (Mtwahr)، هي ألقاب ليبية ذات معان تخص السيادة والزعامة، والقيادة في الحرب أيضا، وقد وردت في بعض المصادر الفرعونية مثل لوحة الداخلة الكبيرة التي تعود لزمن شيشنق الأول. ينظر: (فيتمان، 2009، 38)، مع وجود كلمات ليبية أخرى بهذه اللوحة وغيرها من الوثائق مثل، تمرجن وبارود. وللمزيد حول لوحة الداخلة هذه، ينظر: (حسن، 2000، 133/9-137).

قد تمصروا جميعا لما وصل للبحاث ما يثبت هذا الأثر السياسي والاجتماعي، والذي يتضح بشكل جلي خلال عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر، عندما تمكن الليبيون من التوسع في وظائف الدولة الفرعونية مع الاستقرار في أقاليم مختلفة من مصر ثم الوصول إلى السلطة والانفراد بها وصبغها بطابعهم السياسي والاجتماعي.

3. بداية الانقسام وصراع المناصب:

تمكن شيشنق الاول من بسط سلطانه على كل أقاليم الدولة شمالا وجنوبا، وكان ذلك عبر سياسات كثيرة، أهمها تعيين بعض أفراد البيت المالک وأنصارهم من الليبيين في إدارات الدولة الرئيسية على غرار منصب الكاهن الأول لآمون بطيبة، وخاصة بعد هجرة أسرة حريحور⁽¹⁶⁾ الليبية والمتنفذة في طيبة والمتزعمة لكهانة آمون، بالإضافة الى أسلوب الزواج من الأسر الكهنوتية الطيبية، ناهيك عن السيطرة على كهانة ومعابد الآلهة الأخرى في الشمال والوسط، في منف⁽¹⁷⁾، واهناسيا⁽¹⁸⁾، وسايس⁽¹⁹⁾، وبوباسطة⁽²⁰⁾، وبوتو⁽²¹⁾ وغيرها (مراجع، 2008، 167-

(16) حريحور: تولى كهانة آمون خلال عصر الأسرة 21 ثم ادعى لنفسه ملكا بالجنوب بطيبة، وكانت له فرق عسكرية من المشاوش استأسد بها وقوى سلطانه بهم، حيث توفرت الأموال في خزانة آمون، فهو كاهنه الأعظم، ويذكر المؤرخون أن زوجته كانت ليبية، وحمل أبنائه أسماء ليبية مثل بيبي عنخ. للمزيد ينظر: (Kitchen, 1972, 253؛ مهران، 2011، 141-145؛ يويوت، 1966، 148؛ مراجع، 2008، 147-150)؛ فيتمان، 2009، 32).

(17) منف، هي عاصمة الفراعنة الأولى والقديمة والتي يعتقد إن مؤسسها الفرعون الأول نعرمر مينا مؤسس الأسرة الأولى، يتوسط موقعها ما بين الإقليم الجنوبي والشمالى، وهي حاليا في مركز البدرشين في مجاورات الجيزة، أسماها الإغريق ممفس. وللمزيد ينظر: (أديب، 2000، 776).

(18) اهناسيا، تقع على بحر يوسف بالقرب من مدخل الفيوم، عرفت قديما باسم (حن، حنن، تو) وتعني بيت ابن الملك، وهي مقر عبادة الإله حرشف (حرسافيس). للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 208).

(19) سايس، ساو، هي مدينة صا الحجر بجوار كفر الزيات بغرب الدلتا، وهي مدينة قديمة جدا تعود لعصور ما قبل التاريخ الفرعوني. للمزيد ينظر: (الموسوعة المصرية، 1960، 264).

(20) بوباسطة، بوباستس، حملت اسم المعبود الرئيسي فيها باست القطعة في هيئة بشرية، وتقع بالقرب من مدينة الزقازيق الحالية. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 223-224).

169) حيث أسند شيشنق لابنه أيوبوت منصب كبير كهنة آمون، والقائد العام للجيش، وحاكم الجنوب في آن واحد، وبذلك جمع في يده السلطة الدينية والسياسية، متجاوزا كل تقاليد الوراثة القديمة في تولي كهانة آمون وبكل قوة؛ لما يملكه هذا المنصب من دور خطير داخل المجتمع والدولة، واستمرت هذه السياسة فيما بعد لعدة أجيال بين الأمراء الليبيين دون غيرهم (جريمال، 1993، 417-418).

استمر شيشنق في تقوية سلطته على المؤسسة الروحية بأن منح وظيفة الكاهن الثاني لأمون لأبناء الأمراء الليبيين، أو لأحد أزواج الأميرات، ووضع في الكاهن الثالث والرابع أبناء الأسر النبيلة من الليبيين وخاصة الماشواش، فقد عين نيسي (وهو زعيم إحدى القبائل الليبية) في منصب كاهن آمون الرابع، وبذلك ارتبطت الكهانة بالملكية حتى تعقدت معها الأمور في أواخر الأيام الأسرة الثانية والعشرون، فكان من الصعب العزل والفصل بين الوظيفتين لارتباطهما ببعض (مهران، 2004، 562/3-565).

بعد وفاة شيشنق ورثه ابنه أوسركون الأول (929-893 ق.م) والذي كان قائداً للجيش كله زمن أبيه، ومع توليه السلطة حاول اتباع سياسة والده تجاه الأملاك الإلهية، وخاصة في سنوات حكمة الأولى، سواء بإغداق الأموال والأعطيات أو بتتصيب حلفائه من أسرته في كهانتها، فأزاح أخيه أيوبوت من منصب كبير كهنة آمون، ووضع في مكانه أحد أبنائه يدعى شيشنق، والذي أشركه في الحكم أيضا، غير أنه مات في حياة أبيه الذي توفي أيضا بعده بأشهر قليلة (مهران، 2004، 567/3).

تولى الحكم بعد ذلك تكلوت الأول⁽²²⁾، ابن أوسركون الأول، من زوجة ثانوية، ولأجل ذلك لم يعترف به أيولوت الذي كان كبيرا للكهنة، وربما كان طامعا في الملك، وبذلك بدأت المرحلة السياسية المضطربة، والتي اختل فيها التوازن الذي وضعه شيشنق الأول، فانهارت التحالفات

(21) بوتو، وتعرف اليوم بتل الفراعين، منطقة أثرية كبيرة في محافظة الغربية، من أقاليم الوجه البحري، كان لها دور محوري في حضارة الفراعنة، وخاصة زمن الأسرة السادسة والعشرين. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 241).

(22) تكلوت الأول، تكرتي، حكم بين عامي (893-870 ق.م)، تولى الحكم وهو يبلغ من العمر 68 عامًا، عثر له على أثر في بيبيلوس (لبنان). للمزيد ينظر: (علي، 2001، 357/2-358).

القائمة على المصاهرة، التي حافظت على وحدة البلاد وانسجام الملوك والأمراء الليبيين في كل المقاطعات شمالاً وجنوباً، وفي ظل وجود الأموال الطائلة بيد أصحاب المناصب الكبرى، مما ساعد على تأسيس إقطاعيات توسعت في استقلالها مع مرور الزمن، وهو ما شجع على ظهور النزعات الانفصالية القديمة (جريمال، 1993، 420).

لقد زاد نفوذ الليبيين وانتشارهم مع ذلك الانقسام، فقد حاول كل أمير أو قائد أو كاهن الاستعانة بأناصره من الليبيين وإغرائهم بالمال لاستمالتهم لنصرته، وربما تشجيع غيرهم من الليبيين للهجرة نحو مصر عبر الواحات، فخلال الحكم المزدوج والمتوازي الذي شهدته مصر بين حفيدي أوسركون الأول، وهما أبناء العمومة: أوسركون الثاني⁽²³⁾ وحرسا إست⁽²⁴⁾، فالأخير هو صاحب منصب كبير كهنة آمون بطيبة، والذي ورثه عن أبيه شيشنق الثاني، ثم وضع نفسه ملكا على البلاد في العام الرابع من حكم ابن عمه، وتدل ألقابه على ذلك والتي منها: حور الثور القوي⁽²⁵⁾ الذي توج في طيبة، أما أوسركون الثاني فنقلد أغلب القاب شيشنق الأول (مصطفى، 1990، 36)، ومع ذلك فإن هذه الألقاب لم تمكن الرجلين من توسيع سلطانهما، فبقي كل منهما يحكم في إقليمه، أوسركون بالشمال وحورسا إست بالجنوب (حسن، 2000، 232/9 و318)، ويبدو أنهما ناصبا لبعضهما العداء بالمكر والمكيدة، وخاصة أن موت حرسا إست جاء فجأة، وأثبتت جثته التي كشف عنها بمدينة هابو⁽²⁶⁾ أنه مات مقتولا بضربة قاضية، والمحمّل أن أوسركون الثاني كان مسئولاً عن ذلك (مهران، 2004، 569/3).

(23) أوسركون الثاني، يعد هذا الملك من أهم ملوك الأسرة الثانية والعشرين الليبية، استمر حكمه حوالي 29 سنة. للمزيد ينظر: (خالد، 2008، 50-51).

(24) حرسا إست، أو حورسا إست، أو حورسا إيزيس، عينه أوسركون كبيراً لكهنة الإله آمون بطيبة كوريث لمنصب أبيه شيشنق الثاني، ثم أعلن نفسه ملكاً في الجنوب. للمزيد ينظر: (جريمال، 1993، 421).

(25) حور الثور القوي، هو من الألقاب التي استعملها الفراعنة للدلالة على القوة والبأس والارتباط بالآلهة وقدرتها الخفية. للمزيد ينظر: (بونيم وفورجو، 2007، 415).

(26) هابو، معبد قديم يرجع تأسيسه لعصر الدولة الوسطى، يقع في أقصى الجنوب بغربي مدينة طيبة، ولكن أزها أيامه الأثرية تعود لعصر رمسيس الثالث، وسميت بمدينة هابو نسبة لمدينة عرفت بهذا الاسم أسست في العصر المسيحي وأيضاً لكثرة المعابد القديمة فيها والتي أغلبها يعود لزمان الأسرة الثامنة عشر. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 459-460 و715).

إن النفوذ السياسي للرجال الليبيين وانفرادهم بكل وظائف وإدارات ومؤسسات الدولة السياسية والدينية والعسكرية، خلال تلك المرحلة من تاريخ مصر، يتضح جلياً في ممارسات الملك أوسركون الثاني السياسية، حيث جمع السلطة كاملة وحصرها في أفراد أسرته، ففي نقش دون على أحد تماثيله ويذكر فيه تلك الأهداف صراحة، حيث يقول مخاطباً الإله آمون: "... ليت نسلي - البذر الذي خرج من أعضائي يحكم ... العظيم.... التابعين لمصر... الأمراء الوراثيون، الكهنة العظام لآمون ملك الآلهة، والرؤساء العظام لقوم ما (مي)⁽²⁷⁾ واللوبيون كهك كهنة الإله حشف⁽²⁸⁾، ملك الوجه البحري والوجه القبلي في حين أنني أمر خادمه أن يأتي إلي... وقد استمال قلوبهم نحو ابن رع مرى آمون ابن باست أوسركون الثاني، لينته يضعهم...، وإنك ستثبت أولادي في الوظائف التي أعطيتها إياهم، ولا تدع الأخ يبتهج على أخيه... (حسن، 2000، 274/9-275).

ويظهر من النص أن أوسركون الثاني كان راغباً في تعيين أبنائه بالمراكز الرئيسية والقيادية بالدولة، وهو ما قام به فعلاً، حيث عين ابنه نمرت (نمروت، نمروذ) في إهناسيا ككاهن أعظم للإله حشف، ورئيساً عظيماً بالفيوم، وقائداً للجيش، ورغم أن هذه الخطوة كانت ناجحة في الحد من تزايد سلطة حرسا إست سالف الذكر، إلا أنها تعد أيضاً من الأخطاء السياسية التي دفعت بالبلاد للانقسام في آخر الأمر (مهران، 2004، 569/3-570)، إذ ظهرت بها قوتان بالجنوب والوسط، ناهيك عن القوة الثالثة بالشمال والمتمثلة في الفرعون، ورغم سيطرته على مصر الوسطى بواسطة ابنه المنتفذ فيها، غير أنه دخل في صراع طويل، مع ملوك طيبة الليبيين أيضاً، فبعد موت حورسا إست، سارع أوسركون الثاني في تعيين ابنه نمروت كاهناً أعظماً

(27) قوم ال (ما) أو (مي)، هي اختصار لاسم قبيلة المشواش (الماشواش) الليبية، والذي يظن أنه ظهر خلال العصر المتأخر من التاريخ الفرعوني. للمزيد ينظر: (حسن، 2000، 86/9-88).

(28) الإله حشف، حرسفيس، معبود قديم في مدينة إهناسيا جنوبي الدلتا، ويعني اسمه (الذي فوق بحيرته)، وكان يمثل في هيئة كبش، وقرنه الإغريق بإلههم هرقل، لذلك جاء اسم المدينة عندهم (هيراكليوبوليس). وللمزيد ينظر: (أديب، 2000، 370)؛ وتوجد إشارات عديدة على علاقة هذا الإله بالليبيين منذ العصر الإناسي (الأسرتين 9، 10) (بدوي، 1950، 17/2)؛ ومنذ نهاية الدولة الحديثة سيطروا على كهنته وكانت إحدى أساليبهم التي أوصلتهم إلى السلطة (مراجع، 2008، 163).

لآمون في طيبة، بدلا من تولى أحد أبناء حرسا إست هذا المنصب الوراثي⁽²⁹⁾، ولم يكتف بذلك، بل نصب ابنه الآخر شيشنق ككاهن أعظم للإله بتاح في مدينة منف وأميرا وراثيًا (بن السعدي، 2009، 280).

وبذلك عزل أوسركون الثاني الأسرة القديمة التي احتكرت هذا المنصب لأكثر من قرنين من الزمان، وزاد على ذلك بأن وضع ابنه الآخر المعروف باسم (حرنخت) وهو لا يزال طفلا، في وظيفة الكاهن الأعظم لآمون في مدينة تانيس⁽³⁰⁾ (جريمال، 1993، 421)، غير أنه مات قبل أن يكمل التاسعة من عمره (حسن، 2000، 255/9 و 278)، فهل ذلك دلالة على سوء الأوضاع والاضطرابات السياسية في عصر أوسركون الثاني الطويل؟

من المحتمل أن هذه السياسات التي اتبعتها أوسركون الثاني في السيطرة على كل إدارات البلاد، وتهميش العائلات العريقة التي استمرت في نفوذها العسكري والديني، مما ولد العديد من الاضطرابات والتي جعلت من عصره يتميز بالفوضى السياسية، وهو الأمر الذي يلاحظ في انقسام البلاد، حيث استقل الجنوب إلى حد بعيد، وخاصة أنه رسخ ذلك بعد إصداره لمرسوم يمنح فيه طيبة استقلالاً واسعاً عن الفرعون وسلطانه، وإعفاؤها من الضرائب (جاردنر، 1973، 362).

(29) كان توريث المناصب في نفس العائلة من التقاليد القديمة للفراعنة، غير أنها ازدادت وضوحا داخل المصادر خلال العصر الفرعوني المتأخر، فمع وجود رئاسات أو زعامات ليبية في مدن عديدة بالدلتا والجنوب، وكان أغلبهم من الجنود القدامى الذين امتلكوا عقارات أو أراض زراعية مهمة، جلبت لهم الترف مع السلطة داخل تلك الأقاليم، فكانوا يتوارثون المناصب المهمة في المدن الموجودين فيها، ويفرضون سطوتهم داخل المجتمع برضا الملوك، وهو ما زاد من تقاوم الأوضاع السياسية والصراع على السلطة زمن الليبيين. للمزيد ينظر: (سعد الله، 2003، 39/2-40؛ إبراهيم، 1962، 307/2-308؛ بويوت، 1966، 162 و 164 و 165).

(30) تانيس، وتقع في شرقي الدلتا، تعرف اليوم باسم صان الحجر بمركز فاقوس التابع لمحافظة الشرقية، كانت ذات أهمية منذ زمن الدولة الحديثة، وعثر فيها على آثار تعود للأسرتين 21، 22. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 250).

وبعد موت أوسركون الثاني تولى السلطة تكلوت⁽³¹⁾ (تكرت) الثاني (850-825 ق.م)، والذي اتبع في أول حكمه سياسة المصاهرة مع البيوت العريقة في البلاد، وخاصة مع طيبة، والتي سادت فيها نزعة قوية للاستقلال عن تانيس عاصمة ملوك الأسرة الثانية والعشرين رغم صلات القربى معهم، ولكن تكلوت الثاني غير من تلك السياسة واتباع إجراءات مختلفة، فعند موت نترت كبير كهنة آمون في طيبة، قام بتعيين ابنه أوسركون في هذا المنصب، ثم أضاف إليه لقب حاكم الجنوب، متجاوزا بذلك الأسر المحلية وأبناؤها والمنحدرون أساساً من الأسرة الثانية والعشرين وأمرائها، وهو ما أدى إلى قيام ثورة ضده، ودخلت البلاد في حرب أهلية لسنوات، ولكن أوسركون الأمير الكاهن تمكن من القضاء عليها في آخر الأمر (جريمال، 1993، 425).

لقد حاول الأمير أوسركون ابن تكلوت الثاني إبعاد شبح الاضطرابات وعدم الوقوع فيها من جديد، وذلك عبر سياسة جديدة ارتكزت على زيادة الوظائف التابعة لمعابد آمون وتوزيعها على المطالبين بها من الأمراء الليبيين في طيبة، محاولا التخفيف من حدة التزاحم على ثروات آمون، بفتح أبواب جديدة أمام تلك الكتلة المطالبة بمراكز في السلك الوظيفي لآمون، ورغم ذلك كله فإن الأمور لم تحسم بشكل نهائي بالجنوب؛ وذلك لأن هذه الاضطرابات كانت نتيجة طبيعية لسياسات الملوك التي ارتكزت على تنصيب الأقارب، والخلط بين السلطات المدنية والدينية والعسكرية، مع منح نفوذ كبير لأمراء الأقاليم من الليبيين حتى أصبحوا قوة حقيقية فرضت على الفرعون الاعتماد عليها، والتي ربما تمتعت بمزايا جعلتها تزيد من أنصارها داخل أقاليمها وخاصة من القبائل الليبية (مهران، 2004، 571/3-572).

(31) تكلوت الثاني أو تكرت الثاني، يحتمل أنه اشترك في الحكم مع أوسركون والذي ربما كان أباه في ظن بعض الباحثين، غير أنه لازال بعيدا عن الإثبات، وذلك للاضطرابات التي وقعت في عصره حتى أن فترة حكمه لازالت غير مؤكدة البداية والنهاية (عامر، 2009، 260-261؛ علي، 2001، 359/2-360).

وعلى أية حال فلقد ساءت الأوضاع أكثر مع موت الملك تكلوت الثاني ونجاح أخيه الأصغر شيشنق الثالث (823—772 ق.م)⁽³²⁾ في تولي السلطة من بعده، وتمكن من إزاحة الأمير أوسركون ابن الفرعون⁽³³⁾ المتوفى من ولاية العرش، ويبدو أن شيشنق الثالث قد لاقى قبولا من أهل الجنوب وطيبة في بداية حكمه، والذي ربما كان بسبب عدم تدخله في اختيار الكاهن الأول لآمون وترك لهم الحرية في ذلك، غير أن الأمور اتسعت اضطرابا خلال عامه الثامن، كما سيتضح لاحقا.

4. اشتداد حالة الانقسام السياسي وظهور الممالك الليبية المستقلة:

خلال العام الثامن من حكم شيشنق الثالث حدث تصدع داخل البيت المالكة للأسرة الثانية والعشرين، حيث قام الأمير بدي باست⁽³⁴⁾ ونصب نفسه ملكا وأسس أسرة جديدة في ليونتوبوليس⁽³⁵⁾ بالدلتا، وهي الأسرة الثالثة والعشرون (817-730 ق.م) حسب ما يذكر مانيتون، رغم استمراره في الانتساب، عبر ألقابه، للأسرة الثانية والعشرين، وحكم الفرعونان سويا (جريمال، 1993، 426)، واحتفظ كل منهما بألقابه، فكان الانقسام هذه المرة في الدلتا نفسها، وليس في الجنوب، وسرعان ما اعترف كهنة آمون بالفرعون الجديد، وقبل عامه الثاني عشر، حتى أنهم استقبلوا اثنين من أبنائه وسط جمع منهم احتفاء بهما (حسن، 2000، 390/9-391).

(32) شيشنق الثالث، هناك من يظن أنه حفيد تكلوت الثاني وليس شقيقه، وكان يبلغ من العمر عند توليه الحكم 18 سنة (علي، 2001، 360/2)؛ ولقد لقي قبولا في طيبة؛ لأنه أعاد أحفاد الأسرة 22 إلى كهانة آمون، وذلك بتولي حورسا أزيس الثاني، وهو حفيد حورسا أزيس الأول (جريمال، 1993، 425).

(33) يرى رمضان عبد علي أن استعمال لقب الفرعون (برعا) بجانب اسم الملك بدأ في عصر هذا الفرعون (علي، 2001، 361/2).

(34) بدي باست، بيتوباستيس الأول، يعود في أصله للأسرة الثانية والعشرين، وكان له قوة ونفوذ في مدينة ليونتوبوليس التي أعلن فيها حكمه، وللمزيد ينظر: (علي، 2001، 367/2-368).

(35) ليونتوبوليس، هي عاصمة الإقليم الثاني من أقاليم الدلتا قديما، وتقع في غربها، وتعرف حاليًا بأوسيم على بعد 13 كيلومترا شمال غرب القاهرة، وكانت تعرف قديما بسخم أو رضم وشسم، وعند الإغريق باسم ليونتوبوليس، للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 170).

وعند موت شيشنق الثالث دفن في تانيس حيث كان قد بنى بوابة آمون العظيمة، ووجد اسمه على بقايا المنشآت والمباني ونصب النذور في كافة أنحاء الدلتا، كما كان كاهن آمون الأول أوسركون يعترف به ملكا، وفي نفس الزمن عثر على خراطيش⁽³⁶⁾ الملك بدي باست (مؤسس الأسرة 23) في أجزاء من شرق الدلتا، ومنف وهيراكليوبولس وطيبة، وقد أدى تواجد الملكين معا إلى انقسام الطبقة الليبية الحاكمة في كل إقليم إلى فرق متنازعة (جرimal، 1993، 427)، ويحتمل أن بدي باست هو فرعون تانيس الذي ورد ذكره في الأسطورة التي تناقلتها الكتابات الديموطيقية⁽³⁷⁾ التقليدية، والتي تحكي قصة حرب دارت بحجة (التغلب على الدرع)، ونشبت بين قائد وسيد آمون ومعه محاربون من مدن تانيس ومنديس⁽³⁸⁾ وسبنتيتوس⁽³⁹⁾ وناتو⁽⁴⁰⁾، وبين الأقاليم الأخرى التي تألفت تحت قيادة أمراء هيلوبوليس⁽⁴¹⁾ وبي سويدو⁽⁴²⁾، ودارت بين الفريقين

(36) الخرطوش، هو الكون الذي تحيطه الشمس عند قدامى المصريين، وعبروا عن هذه الفكرة برسمه بأنشطة حبل بقاعدتها عقدة، وكان الفرعون يملك تلك الدنيا أو الكون، وكتبوا اسمه داخلها (أي العقدة)، وخاصة الاسم الخاص بملك الدلتا والصعيد، أو لقبه (ابن رع)، فكل ملك كتب اسمه داخل الخرطوش عد فرعوننا. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 405).

(37) الديموطيقية، هي شكل متطور من الهيروغليفية (الكتابة المصورة المقدسة) والتي كانت لغة النقوش القديمة والدين، أما الديموطيقية فهي لغة شعبية أي أنها أكثر انتشارا بين أفراد المجتمع وموظفو الدولة وخاصة بالدلتا، وقد ظهرت خلال العصر المتأخر وكتبت بها العديد من الأساطير كأسطورة بدي باست المذكورة بالمتن في هذا البحث، للمزيد ينظر: (بوزنر وآخرون، 1996، 162).

(38) منديس، من أقاليم الدلتا، وتقع حاليا شرقي المنصورة، واسمها الفرعوني هو (عج محييت) (إقليم الدرفيل)، أما منديس فهو الاسم اليوناني (أديب، 2000، 172).

(39) سبنتيتوس، وهو الاسم الإغريقي لمدينة نب نتر (مدينة العجل) أيام الفراعنة، وهي من مدن الدلتا أيضا. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 172).

(40) ناتو، من الأسماء التي لازالت غامضة من حيث الموقع، فقد جاء ذكرها بالإضافة إلى الأسطورة، عند هيروdot بأنها مدينة عظيمة بالدلتا الجنوبية شمال هيلوبوليس، كانت مستقرا للجند الليبيين منذ زمن رمسيس الثالث. للمزيد ينظر: (حسن، 2000، 168/8).

(41) هيلوبوليس، أقدم المدن المصرية على رأي هيروdot، حيث يعود تأسيسها إلى الألف الخامس قبل الميلاد، وهذا الاسم هو التسمية الإغريقية للمدينة التي كانت تعرف فيما قبلهم باسم (أون) وحاليا باسم عين شمس شمال القاهرة (أديب، 2000، 838).

صراعات وحروب من أجل الاستيلاء على عرش آمون في مدينة طيبة، وهي تصور، وبأسلوب مثير، التقاليد الأرسقراطية الليبية المحبة للحروب، ناهيك عن تعبيرها بوضوح عن حالة الضعف التي كان يعاني منها الفرعون، وعدم قدرته على إحلال السلام، وذلك بسبب أطماع كبار أتباعه وضراوتهم، والحقيقة إن ملوك الما الكبار بعد عصر أوسركون الثاني أصبحوا سادة الأرض والكهانة في جميع مدن الدلتا، وكان ولائهم لهذا الملك أو ذاك ولاء نظريا غير مستقر، وكانوا مضطرين أحيانا إلى الدفاع عن نفوذهم ومزاياهم بقوة السلاح (يويوت، 1966، 162-163).

واستناداً على ذلك فإن عدم وجود سلطة قوية تضمن استمرار كبير كهنة آمون في منصبه، جعل من نظام الكهانة الطيبي تحت رحمة الأقوى، وكانت أولى النتائج عن هذه الفوضى السياسية في عصر الحكم الليبي، انقسام مصر إلى مملكتين مترامنتين، فبعد الحكم القصير والضعيف لشيشنق الرابع⁽⁴³⁾، وصل الكاهن العجوز أوسركون⁽⁴⁴⁾ إلى عرش طيبة، ثم خلفه تكلوت الثاني، وآمون رود، وهما ابني الكاهن الأكبر القديم حورسا إست، وفي الدلتا سيطر اثنان من أبناء أوبستيس حتى منطقة اطفيح⁽⁴⁵⁾، هما باماي، ومن بعده شيشنق الخامس، وبقيت هيراكليوبوليس بين الدولتين موضع نزاع لأهميتها التجارية بين جنوب الوادي وشماله، أو لأنها كانت تحت حكم ليبي قوي فلم يستطع الطرفين إخضاعها (يويوت، 1966، 164).

(42) بي سويدو، من أقاليم شرق الدلتا زمن الفراعنة، أسماها الإغريق (أرابيا) نسبة للعرب، وتقع على بعد 10 كيلومترات شرق الزقازيق، ويعني اسمها الإله سيد الشرق (بي سويد). للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 173).

(43) شيشنق الرابع، من فراعنة الأسرة الثالثة والعشرين، وهو من الملوك الليبيين الذين جاء ذكرهم في لوحة حورباسن التي أقيمت في السرابيوم (علي، 2001، 368/2).

(44) أوسركون الكاهن الأكبر لآمون، تولى هذا المنصب لفترة طويلة ومتقطعة بين أكثر من ملك ليبي، وهو ابن الملك تكلوت الثاني، والملكة كارممع. للمزيد ينظر: (حسن، 2000، 258/9-338).

(45) اطفيح، بلدة على الضفة الشرقية للنيل، وتبعد عن شاطئه 4 كيلومتر جنوبي بلدة الصف الحالية، كانت عاصمة للأقليم الثاني والعشرين من أقاليم الوجه القبلي، ومركز لعبادة الربة حتحور، وسميت في العصر اليوناني والروماني (أفروديتوبوليس) أي مدينة الإلهة أفروديت، والتي ربطوها بحتحور، وسميت أيام الفراعنة (نب-احي). للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 156).

وتجدر الإشارة هنا الى ان خلال ذلك الانقسام استعاد منصب (عابدة آمون)⁽⁴⁶⁾ أو (العابدة الإلهية لآمون) هيئته، وربما وقع ذلك نتيجة لعوامل سياسية، فقد كانت تلك المكانة مضمحلة ومهتزة منذ نهاية القرن العاشر قبل الميلاد، وتمتعت بصلاحيات هذا المنصب وامتيازاته خلال هذه الفترة العابدات الإلهيات وعلى التوالي كلا من، كارواما زمن حورسا إيزيس، وكاروماما في زمن تكلوت الثاني، وشابينوبت الأولى ابنة أوسركون الثالث في زمن ملوك طيبة الصغار (علي، 2001، 370-369/2).

وجدير بالذكر هنا، وفيما يتعلق بالأسرة الثالثة والعشرين، بأنها كانت على علاقة وثيقة بالأسرة الليبية التي سبقتها، وخاصة إذا ما لوحظ التشابه الواضح في أسماء وألقاب ملوكها، وكأنها فرع منها، فبالنظر إلى أسماء الملوك التي يضعها مانيتون⁽⁴⁷⁾ لهذه الأسرة مع ما توفر لهم من آثار ونقوش وهم: بدي باست، شيشنق الخامس، أوسركون الثالث، تاكيلوت الثالث، وهي أسماء توحى بصلة القرابة بين الأسرتين، وكأن الأسرة الثالثة والعشرين هي فرع انفصل من الأسرة الثانية والعشرين، ناهيك عن عودة الأهمية لمدينة بوباستة، وهي العاصمة القديمة للملوك الليبيين (فخري، 1990، 401-402)، حيث استقرت فيها أسرة شيشنق الأول حتى قبل استيلائها على السلطة بفترة طويلة (علي، 2001، 365/2)، ولعل ذلك الانقسام الذي حدث في الأسرة الثانية والعشرين يعود إلى تعاظم نفوذ حكام الأقاليم من الليبيين وازدياد أطماعهم في ظل ضعف البيت المال في بوباستة (مهران، 2004، 574-576/3).

وزيادة على ما سبق، فإن وجود مملكتين لم يمنع من استمرار الانقسام السياسي لليبيين في مصر، فقد ظهرت أسرة حاكمة جديدة، وهي الأسرة الرابعة والعشرين، التي نشأت في مدينة

(46) العابدة الإلهية لآمون، ويعرف أحيانا بزوجة الإله أو الزوجة الإلهية، وهو من المناصب التي نشأت منذ زمن الأسرة الثامنة عشر (1580-1320 ق.م)، وكانت أغلب النساء اللاتي يتولين هذا المنصب من الأميرات، حتى أصبح هذا المنصب في العصر المتأخر ذو أهمية سياسية كبيرة (أديب، 2000، 691).

(47) مانيتون السمنودي، عاش في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وعاصر الملك بطليموس الثاني خلال العصر الهلنستي، يقال أنه ألف العديد من الكتب، غير أنها لم تصل إلا شذرات منها والتي نقلها بعض الأدباء والمؤرخين كيوستوس اليهودي وأفريكانوس، وهو صاحب التقسيم السياسي لتاريخ الفراعنة إلى 30 أسرة. للمزيد ينظر: (بوزنر وآخرون، 1996، 297-298).

سايس غربي الدلتا، ناهيك عن ظهور مملكة أو إمارة في مدينة هيراكليوبوليس (إهناسيا)، ويبدو أن ملكية خاصة تأسست في مدينة هرموبوليس⁽⁴⁸⁾ (الاشمونين)، غير أن حقيقة هؤلاء الملوك أدبيا كانت أقل بكثير من المركز السياسي للعبادة الإلهية لآمون، كما أنهم لم يتمتعوا بنفوذ وقوة ملوك الماشواش، والذين كانوا يتصرفون في كل المدن باعتبارهم ملوكا مستقلين وخاصة في الدلتا (بويوت، 1966، 164).

لقد كانت دوائر استقرار جند الماشواش مثار قلق دائم خلال هذه الفترة، وخاصة في مقاطعات الدلتا، مثل منديس وسائيس، والتي كان يتزعمها شخص يدعى أوسركون، ولعله تمكن من بسط نفوذه حتى مدينتي يوتو⁽⁴⁹⁾ ومنف، وفي حدود عام 730 ق.م، ظهر في غرب الدلتا ملك جديد عرف باسم تف نخت، كان يحمل ألقابا ليبية مثل: كبير زعماء الليبو، وأمير الغرب العظيم، ثم استطاع أن يمد سلطانه ليشمل كامل غرب الدلتا ووسطها (بن السعدي، 2009، 285-287)، وبالرجوع للخريطة رقم (1) يمكن استيضاح التوزيع الجغرافي للممالك والزعامات الليبية خلال هذه المرحلة من تاريخ مصر.

وعلى أية حال، فإن تف نخت (مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين) استطاع أن يضع أكبر القوات وأقواها من الليبو والماشواش في يده، حيث جمع تحت إمرته أربعة دوائر من زعماء (الما) وهي دائرتي غربي فرع دمياط في إقليمي سبنيوس وبيوزيريس، ودائرتي منديس شرقي فرع دمياط، وبي سويد جنوب شرق الفرع البيلوزي للنيل بشرق الدلتا، هذا بالإضافة إلى انضمام مملكتي أتريب⁽⁵⁰⁾ وتانيس له، واللتين كانتا تحت قيادة أوسركون الرابع⁽⁵¹⁾، ناهيك عن ازدياد

(48) هرموبوليس، هي دمنهور الحالية، عاصمة محافظة البحيرة، على بعد 55 كم جنوب شرق مدينة الإسكندرية. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 432).

(49) بوتو، تل الفراعين، وهي منطقة أثرية كبيرة تقع على بعد 12 كم شمال شرقي دسوق بمحافظة الغربية، وهي قديما من أقاليم الوجه البحري (الدلتا)، وكانت من أهم مدنه. للمزيد ينظر: (أديب، 2000، 241).

(50) أنريب، أتريبس، إحدى أهم مدن الدلتا في مختلف العصور القديمة، وتقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال شرق مدينة بنها، ويوجد موقع آخر في شرق الدلتا يحمل نفس الاسم (أديب، 2000، 289).

قوته (أي تف نخت) بعدما انطوت تحته مملكة لينتوبوليس وهرموبوليس (جريمال، 1993، 429).

وبذلك يتضح أن الدولة التي أسسها شيشنق وعلى غرار الفراعنة الأقوياء لم يستطع خلفاءه من بني جلدته الليبيين المحافظة عليها، فانقسمت الى عدة ممالك وإمارات بسبب الاطماع السياسية للزعماء الليبيين أصحاب الباع الطويل في قيادة الجيش وحكم الأقاليم، والذين استفادوا من صلات القريى بملوك الاسرة الثانية والعشرين وأستأثروا بالعديد من المزايا والنفوذ الذي منحهم فرصة الاستقلال ببعض المقاطعات وإعلان انفسهم ملوكا عليها، وربما دخلوا في منافسة ومناكفة سياسية مع الملوك أصحاب الشرعية، ويبدو أن تف نخت كان أقوى تلك الزعامات، فقد امتلك القوة الضاربة في مصر خلال هذه المرحلة، وخاصة أنه اعتمد على أبناء جلدته من الليبيين في جيشه، وكان قريبا منهم في غرب الدلتا، ويحتمل أنه كان بعيدا عن كل الصراعات السياسية التي وقعت سابقا في بقية أنحاء الدولة شمالا وجنوبا، غير أن الأمر يكون صعب التفسير عند ملاحظة الاطماع السياسية لبعض الملوك الليبيين وزعامات الماء، والتي كان من الصعب تحقيق رغباتها، أو حتى تطويعها، ولكن ربما وقعت تلك الوحدة السياسية وتحققت من أجل هدف واحد، وهو صد أو إيقاف الغزو الكوشي، والذي تزامن تقريبًا (730 ق.م) مع هذا التحالف والتوسع الذي حققه تف نخت، فهل يمكن تصور ذلك في ظل تلك الفوضى السياسية.

5. الخاتمة:

1- كان وصول شيشنق الأول إلى عرش الفراعنة في القرن العاشر قبل الميلاد تعبيرًا عن السيطرة الليبية على الجيش والمؤسسات السياسية والدينية في مصر. وقد بدأ نفوذ الليبيين، وخاصة من قبيلتي المشواش والليبو، في التزايد منذ نهاية الدولة الحديثة (1580-1085 ق.م)، حيث تم توطينهم في مناطق مختلفة من مصر، خاصة في الدلتا، ومنحوا أراضي زراعية كمرتبات، مما زاد من نفوذهم الاجتماعي والاقتصادي.

(51) أوسركون الرابع، كان يعتقد أنه أوسركون الثالث، حتى وجدت له بعض الآثار التي أكدت أنه ابن الملك امنرود (رود آمون) أحد ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، ولقد حكم هو في بوباسطة وفي الوقت نفسه حكم والده في طيبة. للمزيد ينظر: (حسن، 2000، 428/9).

- 2- ازداد توغل العناصر الليبية في مصر بشكل واضح منذ بداية الأسرة الواحدة والعشرين (1085-950 ق.م)، حيث أصبحوا يسيطرون على الجيش ويحتلون مناصب سياسية ودينية مهمة. وقد وصل الأمر إلى أن بعض الفراعنة كانوا من أصل ليبي، مثل أوسركون القديم، مما يعكس مدى تأثير الليبيين في الحياة المصرية.
- 3- بعد وفاة شيشنق الأول، بدأت الفوضى السياسية تتفاقم بسبب الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة الليبية. وقد أدت هذه الصراعات إلى انقسامات داخلية وتفكك السلطة المركزية، خاصة مع ظهور أسرة جديدة في ليونتوبوليس (الأسرة الثالثة والعشرون)، مما أدى إلى انقسام مصر إلى مملكتين متزمنتين: واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب.
- 4- خلال عصر الانتقال الثالث، انقسمت مصر إلى عدة ممالك وإمارات مستقلة، حيث سيطر الليبيون على مناطق مختلفة من البلاد. وقد ظهرت أسرة حاكمة جديدة في سايس (الأسرة الرابعة والعشرون) تحت حكم تف نخت، الذي استطاع توحيد عدة مناطق تحت سلطته، مدعوماً بقوة الليبيين في جيشه.
- 5- أدت سياسات الحكام الليبيين، التي ارتكزت على تنصيب الأقارب والخط بين السلطات المدنية والدينية والعسكرية، إلى تفاقم الأزمة السياسية. وقد ساهم منح نفوذ كبير لأمرأه الأقاليم من الليبيين في زيادة الانقسامات والصراعات الداخلية، مما أضعف السلطة المركزية وجعل الدولة عرضة للغزو الخارجي.
- 6- على الرغم من محاولات الليبيين التكيف مع الثقافة المصرية، إلا أن درجة التمصر كانت بطيئة ومتفاوتة. وقد ظل الليبيون يحتفظون بهويتهم الثقافية والاجتماعية، حيث استمر استخدام الأسماء الليبية حتى العصر البطلمي، مما يعكس استمرار تأثيرهم في المجتمع المصري.
- 7- في محاولة لمواجهة التهديدات الخارجية، خاصة الغزو الكوشي، قام تف نخت بتوحيد عدة مناطق تحت سلطته، مدعوماً بقوة الليبيين في جيشه. ومع ذلك، فإن هذه التحالفات لم تكن كافية لوقف التدهور السياسي والعسكري الذي كانت تعاني منه مصر في تلك الفترة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، نجيب ميخائيل. (1962). *مصر والشرق الأدنى القديم (ج2)*. منشورات مطبعة الإسكندرية.
- الأثرم، رجب عبد الحميد. (1998). *محاضرات في تاريخ ليبيا القديم (ط4)*. جامعة قاريونس.
- أديب، سمير. (2000). *موسوعة الحضارة المصرية القديمة*. دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- إمري، والتر ب. (1967). *مصر في العصر العتيق: الأسرتان الأولى والثانية* (راشد محمد نوير، ومحمد علي كمال الدين، مُترجم). دار نهضة مصر للنشر والتوزيع.
- أوكونر، دافيد. (2000). *مصر القديمة: التاريخ الاجتماعي* (لويس بقطر، مُترجم). المجلس الأعلى للثقافة.
- بدوي، أحمد. (1950). *في موكب الشمس، في تاريخ مصر الفرعونية من فجره الصادق حتى آخر الضحى (ج2)*. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- برستد، جيمس هنري. (1999). *تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي* (حسن كامل، مُترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بن السعدي، سليمان. (2009). *علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد* [أطروحة دكتوراة غير منشورة]. جامعة منتوري - الجزائر.
- بوزنر، جورج. (1996). *معجم الحضارة المصرية القديمة* (أمين سلامة، مُترجم) (ط2). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بونيم، ماري آنج، وفورجو، آني. (2007). *الفرعون وأسرار السلطة* (فاطمة عبد الله محمود، مُترجم). المركز القومي للترجمة.
- توفيق، سيد. (1990). *معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية (ط2)*. دار النهضة العربية.
- جاردنر، ألن. (1973). *مصر الفرعونية* (نجيب ميخائيل إبراهيم، مُترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جريمال، نيقولا. (1993). *تاريخ مصر القديمة* (ماهر جويجاني، مُترجم) (ط2). دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

- حسن، سليم. (2000). *مصر القديمة (ج7)*، عصر مرنبتاح ورعسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبيا (ليبيا). مكتبة الأسرة.
- حسن، سليم. (2000). *مصر القديمة (ج8)*، نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين. مكتبة الأسرة.
- حسن، سليم. (2000). *مصر القديمة (ج9)*، نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة النوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين. مكتبة الأسرة.
- خالد، أسامة. (2008). *معالم تاريخ مصر الفرعونية منذ عصر الأسرة الواحدة والعشرين حتى نهاية عصر الأسرة الثلاثين*. دار الوفاء للطباعة والنشر.
- خشيم، علي فهمي. (1990). *آلهة مصر العربية (ج1)*. دار الأفاق الجديدة.
- دريتون، ايتين، وجاك فانديه. (1950). *مصر*. (عباس بيومي، مُترجم). مكتبة النهضة المصرية.
- سرار، وليد عبد السيد. (2021). *الليبيون في جيش الفراعنة وأثرهم على الحياة السياسية في مصر 3200-730 ق.م*. وزارة الثقافة والتنمية المعرفية.
- سعد الله، محمد علي. (2003). *في تاريخ مصر في العصر الفرعوني (ج2)*. من الدولة الحديثة حتى نهاية الأسرات الفرعونية. دار المعرفة الجامعية.
- عامر، حسين محمد سالم. (2009). *العلاقات الليبية المصرية منذ عهد الهكسوس حتى نهاية الحكم الليبي لمصر (1730-730 ق.م)*. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية.
- علي، رمضان عبده. (2001). *تاريخ مصر القديم (ج2)*. دار نهضة الشرق.
- فخري، أحمد. (1990). *مصر الفرعونية (ط8)*. مكتبة الأنجلو المصرية.
- فيتمان، جونتر. (2009). *مصر والأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد (عبد الجواد مجاهد، مُترجم)*. المركز القومي للترجمة.
- مصطفى، عادل سيد مصطفى. (1990). *دراسة تاريخية وحضارية للأسرة الرابعة والعشرين في مصر الفرعونية [رسالة ماجستير غير منشورة]*. جامعة الإسكندرية.

- مهران، محمد بيومي. (1988). *دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الكتاب الثاني، مصر (التاريخ)*. دار المعرفة الجامعية.
- مهران، محمد بيومي. (2004). *مصر والشرق الأدنى القديم، مصر (ج3)، منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين*. دار المعرفة الجامعية.
- مهران، محمد بيومي. (2011). *مصر والشرق الأدنى القديم (9) المغرب القديم*. دار المعرفة الجامعية.
- نخبة من الباحثين. (1960). *الموسوعة المصرية (مج1) (ج1) تاريخ مصر القديمة وآثارها*. الشركة المصرية للطباعة والنشر.
- يويوت، جان. (1966). *مصر الفرعونية (سعد زهران، مُترجم)*. مؤسسة سجل العرب.
- Kitchen, K. A. (1972). *The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650BC)*, Warminster, Aris & Phillips Ltd.
- Leahy, A. (1985). *The Libyan Period in Egypt: An Essay in Interpretation*. *Libyan Studies*, 16, 51-65.

الملاحق



الخريطة السياسية لمصر في حدود سنة 730 ق.م، ويظهر فيها الانقسام السياسي والممالك التي ظهرت في الدلتا ومصر الوسطى، نقلاً عن: (جريمال، 1993، 426)